مواعظ مهمة

تعيذك من عذاب القبر وعذاب النار وتدخلك الجنة

تأليف

طه عبد الرءوف سعد
من علماء الأزهر الشريف

سعد حسن محمد على
المدرس بالأزهر الشريف

الناشر
مكتبة العلم الإسلامية
٤ عطفة النشيلى من ش سيد الدواخلى
ت: ٧٨٦٣٢٨٠



رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

٧٨٠٠/ ٢٠٠١

الترقيم الدولى: 3 - 30 - 5442 - 977



مقدمة

باسمه تعالى نستفتح، رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، الذى به الأمور تستقيم وتنجح.

نحمده سبحانه أرسل إلينا رسله وأنزل علينا كتبه فيها من المواعظ والأخبار والهداية والآثار ما يلين القلوب ويهذب ويرقى النفوس.

ونصلى ونسلم على خير مبعوث وأفضل نبى، محمد الرسول الأمى العربى التهامى القرشى، وعلى آله وأصحابه ذوى القدر العلى.

اللهم صل على خير خلقك من بعثته إلى العالمين يعظهم ويوقظهم من ثبات الجهل إلى نور الحق والعلم.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وبعد فإنه يسعدنا أن نقدم هذا الكتاب الصغير المحتوى على المعنى الجليل من مواعظ تهذب نفسك وترقق حسك وتأخذ بيدك إلى كل ما هو أحسن، فإذا كنت حريصًا على المال أو العلم فمال بغير علم لا فائدة فيه، بل قد يكون سببًا للفساد والإفساد، وأيضًا

علم بلا أخلاق قد يجر إلى سيئ الأعمال وفساد الأخلاق والوبال يوم تعرض الأعمال.

فإذا كنت تريد أن تسعد فى دنياك وتكون لك الحسنى فى عقباك فتخلق أولا بالأخلاق الحميدة، ثم تعلم العلوم المفيدة ولن يبخل الله عليك بعد ذلك بما قسم لك من متع هذه الحياة الدنيا.

لهذا فإنه يسعدنا أن نقدم هذا الكتاب ليرتفع بذوقك ويأخذ بيدك إلى طريق الحق والنور والصواب ولا يتركك إذا ما اتبعت آثاره واهتديت بأنواره وقرأته على أهل بيتك ونصحتَّ غيرك بالاطلاع عليه إلا وقد أخذ بأيديكم جميعا إلى عيشة طيبة فى الحياة الدنيا وجنة عرضها السموات والأرض فى العقبى، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اللهم يا رافع السموات وباسط الأرضين انفع بكتابنا هذا كل من قرأه فاستفاد منه، وهو إن شاء الله لمن المستفيدين ووفقه للعمل بما فيه ـ واجعل خاتمتنا إلى خير وأمتْنا على قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، فالمرء يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه، واجعل غاية نعيمنا وجزاء صالح أعمالنا النظر إلى سبحات وجهك الكريم فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

وسلام على المرسلين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين **المؤلفان**

تعريف الوعظ

يطلق الوعظ على الإرشاد والتخويف وقال العلماء: هو التذكير بالخبر فيما يرق له القلب.

يقول الجوهرى صاحب الصحاح: الوعظ: النصح والتذكير بالعواقب، وفى الحديث الشريف: «يأتى على الناس زمان يستحل فيه الربا بالبيع، والقتل بالموعظة» أى يقتل البرىء ليتعظ المريب.

ويقول ابن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب.

ويقال: السعيد من وُعظ بغيره، والشقى من اتعظ به غيره.

ويقول الراغب: الوعظ زجر مقترن بتخويف.

معنى الحكمة والموعظة الحسنة

يقول ابن القيم: وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء:

شدة الاحتياج إليها والعمى عن عيب الواعظ، استفد من قوله: وامتنع عن عيبه، وتذكر الوعد والوعيد.

وإنما يشتد احتياج العبد إلى العظة، وهى الترغيب

والتـرهيب ـ إذا ضعف رجـوعه إلى الله وتذكـره، وإلا فمـتى قوى رجوعه عن الذنـب وتذكره لم تشتد حاجته إلـى التذكير، والتـرغيب والـترهيب، ولكن تـكون الحاجـة منه شـديدة إلى معرفة الأمر والنهى، ما يجب أن يفعله وما عليه أن يمتنع عنه.

والعظة يراد بهـا أمران: الأمـر والنهى المقـرونان بالرغـبة والرهبة، ونفس الرغبة والرهبة.

فالراجع إلى الله المتذكر: شديد الحاجة إلى الأمر والنهى، والمـعرض الغـافل شـديد الحاجـة إلى التـرغيب والتـرهيب، والمعارض المتكبر: شديد الحـاجة إلى المجادلة حتى يكتشف عيوب نفسـه فينزجر عن المعاصى ويتوب ويـعود إلى العبادة، فجاءت هذه الثلاثة فى حق هؤلاء الثلاثـة فى قوله: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

أقوال فى الوعظ

ـ عن عبد الله بـن مسعود ﷺ قال: الشـقى من شقى فى بطن أمـه، والسعـيد من وعظ بغـيره، لا تنتظر حـتى تقع فى الهلاك ثم تتعظ، بل انظر أخطاء غيرك واجتنبها.

- عن عمر بن العزيز: أنه بكى يومًا بين أصحابه فسئل عن ذلك، فقال: فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضى حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادكر.

- قال أبو محرز الطناوى: كفتك القبور مواعظ الأمم السالفة.

انظر إلى من فى القبور هل سوف تكون غدا معهم أو بعد غد.

- قال مقاتل فى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) ﴾ (الفرقان) إذا وعظوا بالقرآن لم يقعوا عليه صما لم يسمعوه، عميانا لم يبصروه، ولكنهم سمعوا وأبصروا وأيقنوا به، يعنى عملوا بما فى القرآن الكريم.

فوائد من الوعظ

- هو السبيل والطريق الموصلة إلى الجنة، جعلنا الله من أهلها.
- السراج الذى ينير العقول ويصلح القلوب.
- يحدث التآلف والمحبة بين المسلمين.
- السعادة فى الدنيا والآخرة.
- يحفظ الإنسان من مكائد الشيطان.

ذكر الموعظة فى القرآن الكريم

ذكرت الموعظة فى أكثر من آية من آيات القرآن الكريم، وقد ذكر لفظ الموعظة بأشكال عدة، وتصاريف متعددة:

منها: موعظة - يعظكم - الواعظين - يعظه - يوعظون . . . إلخ.

قال تعالى: ﴿ **فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** (٦٦) ﴾ (البقرة).

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (٢٣١) **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** (٢٣٢) ﴾ (البقرة).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) ﴾ (البقرة).

وقال تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾ (آل عمران)

وقال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) ﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) ﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا (٦٣) ﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) ﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) ﴾ (المائدة).

وقال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) ﴾ (الأعراف).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) ﴾ (الأعراف).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) ﴾ (يونس).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) ﴾ (هود).

وقال تعالى: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِى هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) ﴾ (هود)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾ (النحل)

وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) ﴾ (النحل).

وقال تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) ﴾ (النور).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤) ﴾ (النور).

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) ﴾ (الشعراء).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ (لقمان).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) ﴾ (سبأ).

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) ﴾ (المجادلة).

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) ﴾ (الطلاق).

الأحاديث التي ورد ذكرها فى السنة الشريفة عن الوعظ

ـ عن أبى مسعود الأنصارى ﷺ ـ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان، مما يطيل بنا، فما رأيت النبى ـ ﷺ ـ غضب فى موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال: «يا أيها الناس، إن منكم منفرين فأيكم أمّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة» (أخرجه البخارى ومسلم)

وليس الإيجاز هو الإخلال بأركان الصلاة ولا بالقراءة فيها.

ـ عن العرباض بن سارية ـ ﷺ ـ قال: وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب فقال رجل: إن هذه موعظة مودّع[1] فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبد حبشى[2]، فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن

---

(١) أى مودع الدنيا إلى لقاء ربه تعالى فى الآخرة.

(٢) أى إن كان أميرا عليكم.

أدرك ذلك منكم فعليه بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ» (أخرجه ابن ماجه)

ـ عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثنى أبى، أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ـ ﷺ ـ فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ . . . فذكر فى الحديث قصة، فال: «ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عوان عندكم [يخدمونكم]، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن» (أخرجه الترمذى)

ـ عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قالت النساء للنبى ﷺ: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن، فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان حجابًا من النار» فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: «واثنين». (أخرجه البخارى)

ونرجو أن يكون الواحد كذلك من فضل الله تعالى.

- عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: شهدت مع رسول الله ﷺ، الصلاة يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة، بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئا على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال: «تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم»(١) فقامت امرأة من سطة النساء سعفاء الخدين فقالت: لِمَ يا رسول الله؟ قال: «لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير» [المعاشر لهن كالأزواج] قال: فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن. (البخارى - مسلم)

- عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة(٢) والذى عقر، فقال رسول الله ﷺ: «إذ انبعث أشقاها» انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى رهطه مثل أبى زمعة، وذكر النساء فقال: «يعمد أحدكم يجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه»(٣) ثم وعظهم فى ضحكهم من

---

(١) وإن كان بعضهن من أوائل الداخلات الجنة الصالحات القانتات التائبات العابدات المقيمات لحدود رب العالمين.

(٢) ناقة صالح وقومه ثمود.

(٣) يصول عليها أول النهار كما يصول الأسد على فريسته ثم يحتاجها =

الضرطة وقال: «لمَ يضحك أحدكم مما يفعل؟» (البخارى)

ـ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «كان النبى ﷺ يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا».

(البخارى ـ مسلم)

١- مانع الزكاة

إن الذين شغلهم فى الدنيا غرورهم، إنما هلاكهم فيما جمعوا، إذا جاء محذورهم، يوم يحمى عليها[1] فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم؟.

أخذ المال إلى دار العقاب فجعل يحمى عليها ليقوى العذاب، فصفح صفائح كى يعم الكى الجلود، ثم يجىء بمن عن الهدى قد غاب، يسعى إلى مكان لا مع قوم يسعى نورهم،

= ليلا فيتذلل لها تذلل العبد لسيده كن أيها الرجل معتدلا فى حياتك لا تسىء إلى امرأتك فالرسول ﷺ يقول خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى كان أقصى ما يعاقب به امرأة من نسائه أن يضربها بمسواكه على مؤخرتها.

(١) أى على أموال تارك الزكاة.

ثم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

إذا لقيهم الفقير لقى الأذى، فإذا طلب منهم شيئا طار منهم لهب الغضب كشعلة النار، ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز الغنى، ونسوا حكمة الخالق فى غنى ذا وفقر ذا، واعجبا كم يلقاهم من غم إذا ضمتهم قبورهم، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم، سيأخذها الوارث منهم من غير تعب، ويسأل عنها الجامع من أين اكتسب ما اكتسب.

ألا إن الشوك له وللوارث الثمر، أين حرص الجامعين؟ أين عقولهم؟ يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

لو رأيتهم فى طبقات النار، يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار، وقد غُلَّت اليمين مع اليسار لما بخلوا مع الغنى، لو رأيتهم فى الجحيم يسقون من الحميم، وقد ضج صبورهم، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

كم كانوا يوعظون فى الدنيا وما فيهم من يسمع، كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع، كم أنبئوا بمنع الزكاة

وما فيهم من يدفع، فكأنهم بالأمـوال وقد انقلبت ثعبانا أقرع، فمـا هى عصـا موسى ولا طورهم، يوم يحـمى عليهـا فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

قال تعالى: ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

(آل عمران: ١٨٠)

يكون المال ثعبانا أقرع يطوق رقبة مانع الزكاة.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) ﴾ (التوبة).

وقال تعالى: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) ﴾ (فصلت).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) ﴾ (المنافقون).

وأين له أن يرجع إلى الدنيا - نعيم مقيم أو عذاب مستديم، نعوذ بالله من كنز المال.

أيها المسلم، إذا كان معك ما يوازى ٨٢ جراما من الذهب، حوالى ثلاثة آلاف جنيه مصرى الآن، ومضى عليه عام فأد زكاته إلى الفقراء، وإن كانوا أقارب فهو أحسن، ولا تجوز الزكاة على الأب والأم والأبناء - أد ربع عشر ما تملك.

٢- الاحتراز من عقوق الوالدين

أيها المضيع لآكد الحقوق، الذى اختار من بر الوالدين العقوق، الناسى لما يجب عليه الغافل بين يديه.

بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه باتباع الشر، تطلب الجنة بزعمك وهى تحت أقدام أمك، حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع سنوات، وتحملت عند الوضع ما يذيب المهج، وأرضعتك من ثديها لبنا وأطارت لأجلك نومًا، وغسلت بيمينها عنك الأذى، فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك بأعلى صوتها.

هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا، فدعت لك بالتوفيق

سرا وجهارا، فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشيـاء عليك، فشـبعت وهى جـائعة، ورويت وهى قـانعة، وقدمت عليها زوجتك وأولادك بالإحـسان، وقابلت ما عملت لك بالنسـيان، وصعب لديك أمـرها وهو يسيـر، وطال عليك عمـرها وهو قصـير، وهجـرتها وليس لهـا سواك نصـير، هذا ومولاك قـد نهاك عن التأفيف (أف) وعـاتبك فى حقها بعـتاب لطيف، ستعـاقب فى دنياك بعقوق البنين، وفى أخـراك بالبعد من رب العالمين، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد، ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (١٠) ﴾ (الحج).

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ (الإسراء).

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) ﴾ (لقمان)

قال الشاعر:

لأمك حق لو علمت كثيرا	كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي	لها من جواها أنة وزفير
وفي الوضع لو تدرى عليها مشقة	فمن غصص كاد الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها	وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها	ومن ثديها شراب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها	حنانا وإشفاقا وأنت صغير
فآها لذى عقل ويتبع الهوى	وآها لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها	فأنت لما تدعو إليه فقير

٣- نهاية الظالمين

كم أخرج الموت نفسا من دارها لم يدارها، وكم أنزل أجساد بجارها لم يجارها، وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها.

أين من ملك المغارب والمشارق، وعمر النواحي وغرس الحدائق، ونال الأماني وركب العوائق، صاح به من داره غراب ناعق، وطرقه في لهوه أقطع طارق، وزجرت عليه رعود وصواعق، وحل به ما شيب بعض المفارق ـ شعر الرأس ـ

وهجره الحبيب الذى لم يفارق، وابتعد عنه الصديق والرفيق الصادق، ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق، نازله والله الموت فلم يحاشه، وأذله بالقهر بعد عز معاشه، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه، ومزقه الدود فى قبره كتمزيق قماشه، وبقى فى ضيق شديد من معاشه، وبعد عن الصديق فكأنه لم يماشه، ما نفعه والله عبرة للمجتاز، وقطع شاسعا من السبل والأوفاز - الطرق والصحراء - وبقى رهينا لا يدرى أهَلَكَ أم فاز، وهذا لك بعد أيام، وما أنت فيه أحلام، ودنياك لا تصلح، وما سمعت ستراه غدا على التمام، ويقع لى ولك، ويحك متى يؤثر فيك الكلام؟.

قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ (٤٥) ﴾ (إبراهيم).

قال الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه[1] ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال :

إذا الظلوم استوطأ الظلم مركبا ... ولج اعتداء فى قبيح اكتسابه

فكله إلى صرف الزمان وعدله ... سيبدو له ما لم يكن فى حسابه

وقال :

أما والله إن الظلم شؤم ... وما زال المسىء هو الظلوم

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا ... غدا عند المليك من الملوم

وقال :

فخف القصاص غدا إذا وفيت ما ... كسبت يداك اليوم بالقسطاس

فى موقف ما فيه إلا شاخص ... أو مهطع أو مقنع للراس

أعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم ... نار وحاكمهم شديد الباس

أن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى ... فغدا تؤديها مع الإفلاس

---

(١) لاحظ أن الله يستجيب للمظلوم وينصره حتى ولو كان كافرا، فلا تظلم قريبا ولا بعيدا.

٤- حب الدنيا رأس كل خطيئة

أين من حصَّن الحصون المشْيدة واحترس، وعمَّر الحدائق فبالغ وغرس (الأشجار) ونصب لنفسه كرسى العز وجلس، وبلغ المنتهى ورأى الملتمس، وظن فى نفسه البقاء، ولكن خاب الظن فى النفس، أزعجه والله هادم اللذات (الموت) واختلس، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس، (دفن) وتركه فى ظلام ظلمه من الجهل والدنس، فالعاقل من انتفع بأيامه، فإن العواقب فى خلس (غير معلومة).

يا من يرحل فى كل يوم مرحلة، وكتابه قد حوى حتى الخردلة، (أصغر شيء) ما ينتفع بالنذير والنذر متصلة، ولا يصغى إلى ناصح وقد عذله، ودروعه والسهام مرسلة، نور الهدى قد بدا، ولكن ما رآه ولا تأمله، وهو يأمل البقاء ويرى مصير من أمله، قد انعكف بعد بالشيب على العيب بصبابة ووله ـ شغف ـ كن كيف شئت، فبين يديك الحساب والزلزلة، ونعِّم جلدك فلا بد للديدان أن تأكله، فيا عجبا من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمساءلة، فقد أولاك لو علمت منزلة، فبادر

ما بقى من عمرك واستدرك أوله، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة.

قال الشاعر:

تبنى وتجمع والآثار تندرس
وتأمل اللبث والأعمار تختلس
ذا اللب فكر فما فى العيش من طمع
لا بد ما ينتهى أمر وينعكس
أين الملوك وأبناء الملوك ومن
كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم فى كل معترك
تخشى ودونهم الحجّاب والحرس
أضحوا بمهلكة فى وسط معترك
صرعى وصاروا ببطن الأرض وانطمسوا
وعمهم حدث وضمهم جدث
باتوا فهم جثث فى الرمس قد حُبسوا
وكأنهم قط ما كانوا وما خلقوا
ومات ذكرهم بين الورى ونُسوا .

والله لو عـايـنت عـيناك مـا صـنعت
أيدى البـلا بهم والـدود يفـتـرس
لعـايـنت منظرا تـشـجى القـلوب له
وأبصـرت منـكرا مـن دونه البـلس
من أوجـه ناضـرات حـار ناظـرها
وليس تبـقـى لهـذا وهـى تنتـهس
وأعظـم باليـات مـا بـهـا رمق
فى رونق الحسن منهـا كـيف ينطمس
وألـسن نـاطقـات زانـهـا أدب
مـا شـأنـهـا بالآفـة الـخـرس
حـتـام يـا ذا النهى لا ترعـوى سـفـهـا
ودمع عـينيك لا يهـمى وينبـجس

اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا.

قال تعـالى: ﴿ وَابْتَغِ فِـيـمَـا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِـرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ (القصص).

٥- الدنيا خداعة

عباد الله أما الليالى والأيام فتهدم الآجال؟ أما آخرة المقيم فى الدنيا إلى الزوال؟ أما آخر الصحة فيؤول إلى الاعتلال؟ أما غاية السلام فنقصان الكمال؟ أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال؟ أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال؟ أما بانت لكم وضربت الأمثال؟ .

يا متعلقا بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق، يا مضيعا فى الهوى واجبات الحقوق، تبارز الخالق وتستحى من المخلوق، ابك على نفسك العلية فإنك بالبكاء محقوق.

عجبا لمن رأى فعل الموت لصحبه، وأيقن بتلفه وما قضى نحبه وسكن الإيمان بالآخرة فى قلبه، أنام غافلا على جنبه ونسى جزاءه على جرمه وذنبه، كأنى به وقد سقى كأس موت، يستغيث من شربه، وأفرده الموت عن أهله، وسيره ونقله إلى قبر ذل فيه بعد عجبه.

فيا ذا العاقل زر قبره ومر به، لقد خرقت المواعظ المسامع، وما أراه انتفع به السامع، لقد بدأ نور المطالع لكنه أعمى المطامع، ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر

بالمصارع، فما بالها لا تسكب المدامع، يا عجبا لقلب عند ذكر الحق غير خاشع، لقد نشبت فيه مخالب المطامع، يا من شيبه قد أتى، هل ترى ما مضى من العمر براجع؟ انتبه لما بقى وانتبه وتراجع، فالهوى عظيم والحساب شديد والطريق بعيد والحساب شديد، إن عذاب ربك لواقع، ماله من دافع.

ابن آدم، كيف تظن أعمالك مشيدة، وأنت تعلم أنها مكيدة؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة، وكيف تقصر فى زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة، يا معرضًا عنا إلى متى هذا الجفا والإعراض، يا غافلا عن الموت والعمر لا شك فى انقراض، يا مغترا فى أمله وأيدى المنايا تقرضه بمقراض، يا مغرورًا بصحته وبدنه كل يوم فى انتقاص، يا من يفنى كل يوم بعضه، ستفنى والله الأبعاض - أجزاء الجسم - يا غافلا عن الزاد وقد أنذره بعد السواد البياض - الشيب - يا قليل الاحتراس ونيل المنايا طوال عراض، يا من يساق إلى موارد التلف وقد ترعت الحياض، يا ضاحكا وعيون الفنا غير غماض، عجبا لمن هذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الإغماض.

قال الشاعر:

وعـــــــزيز نـاعـم ذل لـه ... كل صعب المرتقى وعمر المرام
فكسـاه بعـد لـين ملبس ... خشنا بالرغم منه فى الرغـام
ووجـــوه ناضـــرات بـدلت ... بعـد لون الحسن لونا كـالقتـام
وشـــمـوس طالعـات أفلت ... بعـد ذاك النور منـهـا بـالظلام
ومنيف شـــامخ بـنيـــانه ... لين الأعطـاف مـهـتـز القـوام
أف للدنيـا فـمـا شـيـمـتـهـا ... غير نقض العهد أو خفر الذمام
فاستعدوا الزاد تنجو واعملوا ... صالحا من قبل تـقويض الخيام

٦- كلما زاد العمر نقص

أيها العبد، لا شيء أعز عليك من عمرك وأنت تضيعه، ولا عدو لك كالشيطان وأنت تطيعه، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافيها، ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها.

لقد مضى من عمرك الأطايب، فما بقى بعد شيب الذوائب - جوانب الشعر - يا حاضر البدن والقلب غائب، اجتماع العيب والشيب من جملة المصـائب - الذنوب مع الكبر - يمضى زمن الصبا وحب الحبائب، كـفى زاجرا واعظا (الموت) تشيب منه الذوائب، يا غافلا فاته أفضل المناقب.

أين البكا لخوف العظيم الطالب؟ أين الزمان الذى ضاع فى الملاعب؟ نظرت فيه آخر العواقب، كم فى القيامة من دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب، من لى إذا قمت فى موقف المحاسب وقيل لى: ما صنعت فى كل واجب.

كيف ترجو النجاة وتلهو بأمر الملاعب؟ إذا أتتك الأمانى بظن الكاذب.

الموت صعب شديد مر المشارب، يلقى شره بكأس صدور الكتائب، فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب (الموت) يأتى بقهر ويرمى بسهم صائب، يا آملا أن تبقى سليما من النوائب، بنيت بيتا كنسيج العناكب، (وذلك لأن أنثى العنكبوت تقتل زوجها فيصبح البيت ضعيفا دون حماية).

أين الذين علوا متون الركايب، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب، وأنت بعد قليل حليف المصايب،" انظر وتفكر وتدبر قبل العجايب، (عندما ترى مقعدك بعد الموت، إما فى الجنة وإما فى النار).

يا من عمره كلما زاد نقص، يا من يأمن ملك الموت وقد اقتنص، يامائلا إلى الدنيا هل سلمت من النقص؟ يا مفرطا فى عمره هل بادرت الفرص؟ يا من إذا ارتقى فى منهاج الهدى ثم

لاح له الهوى نكص (رجع) من لك يوم الحشر عند نشر القصص - صحائف الأعمال -؟.

عجبا لنفس أمست بالليل هاجعة، ونسيت أهوال يوم الواقعة، ولأن تقرعها المواعظ فتصغى لها سامعة، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة، والنفوس غدت فى كرم الكريم طامعة، وليست له فى حال من الأحوال طائعة، والأقدام سعت فى الهوى فى طرق شاسعة، بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة، والهمم شرعت فى مشارع الهوى متنازعة، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة، وقلوب تضمر التوبة إذا فرغت بزواجر رادعة، ثم تعود إلى ما لا يخل مرارا متتابعة:

٧- تدبروا العواقبَ وخافوا الله تعالى

عباد الله تدبروا العواقب، واحذروا قوة المناقب، واخشوا عقوبة المعاقب، وخافوا سلب السالب (قابض الأرواح) فإنه والله طالب غالب.

أين الذين قعدوا فى طلب المنى وقاموا، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا؟.

ما أقل ما لبثوا، وما أوفى ما أقاموا، لقد وبخوا فى نفوسهم فى قعر قبورهم على ما أسلفوا ولاموا.

يا من بأقذر الخطايا قد تلطخ، وبآفات البلايا قد تضمخ، يا من سمع كلام من لام ووبخ، يعقد عقد التوبة حتى إذا أمسى يفسخ، يا مطلقا لسانه والملك الموكل بكتابة الأعمال يحصى وينسخ، يا من طير الهوى فى صدره قد عشش وفرَّخ، كم أباد الموت ملوكا كالجبال الشمخ، كم أزعج قواعد كانت فى الكبر ترسخ، وأسكنهم ظلم اللحود (القبور) ومن ورائهم برزخ، يا من قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ، يا مبارزًا بالعظائم، أتأمن من أن تخسف أو تمسخ، يا من لازم العيب بعد اشتعال الشيب ففعله يؤرخ.

قال الشاعر:

أما والله لو علم الأنام لما خلقوا لما هجعوا وناموا

لقد خلقوا لأمر لو رأته عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

ممات ثم قبر ثم حشر وتوبيخ وأحوال عظام

ليوم الحشر قد عملت رجال فصلوا من مخافته وصاموا

ونحن إذا أمرنا أو نهينا كأهل الكهف أيقاظ نيام

٨- يوم لا ينفع فيه الندم

ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم، وألحقك بمن سبقك من الأمم، ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم، ومن ذلك إلى عسكر الموتى مخيمة بين الخيم، مفرقا من مالك ما اجتمع، ومن شملك ما انتظم، ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم.

وندمت على التفريط غاية الندم، فيا عجبا لعين تنام وطالبها لم ينم، متى تحذر مما توعد وتهدد، ومتى تضرم نار الخوف فى قلبك وتتوقد، إلى متى حسناتك تضمحل - تقل - وسيئاتك تجدد، إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد، إلى متى أنت بين الفتور والتوانى - التراخى - تتردد، متى تحذر يوما فيه الجلود تنطق وتشهد، متى تترك ما يفنى فيما لا ينقد، متى تهب بك فى بحر الوجد ريح الخوف والرجا، متى تكون الليل قائما إذا سجا.

أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا، وقاموا فى الليل وركعوا وسجدوا، وقدموا إلى بابه فى الأسحار ووفدوا، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا، لقد ساروا

وتخلفت، وفاتك ما وجدوا، وبقيت فى أعقابهم إن لم تلحق بعد.

قال الشاعر:

يا نائم الليل كم ترقد
قم يا حبيبى فقد دنا الموعد
من نام حتى ينقضى ليله
لم يبلغ المنزل قبل أن يجهد
قل لذوى الألباب أهل التقى
قنطرة العرض لكم موعد

٩- استيقظ أيها النائم

أيها المشغول بالشهوات الفانيات، متى تستعد لممات آت؟ حتى لا تجتهد فى لحاق القوافل الماضيات، أتطمع وأنت رهين الوساد - الفراش - فى لحاق السادات؟ هيهات هيهات هيهات، يا آملا فى زعمه اللذات، احذر هجوم هادم اللذات، (الموت) احذر مكائده فهى كوامن فى عدة الأنفاس واللحظات، يا من صحبته بالذنوب قد كثرت وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت، أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت، أما

رأيت عرائس آحـاد إلى اللحود (القـبور) قد زفت؟ أمـا عاينت أبدان المتـرفين وقـد أدرجت فى الأكفـان ولفت؟ أما عـاينت طور الأجـسام فى الأرحـام؟ ومتى تتنـبه لخـلاص نفسك أيهـا الناعس؟ مـتى تعـتـبر بـربـع غـيـر الدارس ـ المـاضى ـ أين الأكاسرة الشجعان الفوارس؟ وأين المنعمون بالجوارى والظباء الخنس الكوانس؟ أين المـتكبرون ذوو الوجـوه العوابس؟ أين من اعـتـاد سـمـة القـصور؟ حـبس فى الـقـبـور فى أضـيق المـحـابس، أين المـتبـخـتـر فى أثوابه؟ عـرى فى ترابه عن المـلابس، أين الغافل فى أمله وأهـله عن أجله؟ سلبتـه أكف الخـالـس، أين جـامع الأمـوال؟ سلب المـحـروس وهلك الحارس، حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها، ولمن جهل نفسـه أن يزجرها، ولمن تحقق نـقلته أن يذكرها، ولمن غـمر بالنعـمـاء أن يشكرها، ولمن دعى إلى دار الـسـلام أن يقطع صحراء الهوى ليحضرها.

قال الشاعر:

تمـضى حلاوة ما أخـفيت وبعـدها
تبـقى عليـك مـرارة الـتبـعـات

يا حسرة العاصى يوم معادهم
لو أنهم سبقوا إلى الجنات
لو لم يكن إلا الحياء من الذى
ستر العيوب لأكثروا الحسرات

١٠- نعم البيع ونعم الشراء

لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها، التقطوا أيام السلامة فغنموا، وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره وسلموا، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا، هجروا فى طاعته لذيذ الكرى - النوم - وهربوا إليه من جميع الورى - الناس - وآثروا طاعته إيثار من علم ودرى، ورضوا فلم يعترضوا على ما جرى، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويا نعم الشرا، أسلموا إليه لما سلموا الروح، وخدموه والصدر لخدمته مشروح، وقرعوا بابه وإذا الباب مفتوح، وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح، وقاموا فى الأسحار قيام من يبكى وينوح، وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح - كناية عن الزهد - ورضوا أنفسهم فإذا المذموم ممدوح، تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح، وقد عبقوا

بنشر أنسه رائحة ارتياحهم تفوح منه من طيب الثناء وروائح لهم بكل مكان تستنشق، مُمَسَّكة النفحات إلا أنها وحشية لسواهم لا تعبق.

أيها العبيد تذكروا في مصارع الذين سبقوا، وتدبروا فى عواقبهم أين انطلقوا، واعلموا أنهم قد تقاسموا وافترقوا، أما أهل الخير فسعدوا، وأما أهل الشر فشقوا، فانظر لنفسك قبل أن تلقى ما لقوا.

قال الشاعر:

والمرء مثل هلال عند مطلعه
يبدو ضئيلا لطيفا ثم يتسقُ

يزداد إذا ما تم أعقبه
كر الجديدين[1] نقصا ثم يمتحقُ

كان الشباب رداء قد بهجت به
فقد تطاير منه للبلا خرقُ

ومات مبتسم يجد المشيب به
كالليل ينهض فى أعجازه الأفقُ

(١) كر الجديدين: تعاقب الليل والنهار.

عجبت والدهر لا تفنى عجائبه
من راكنين إلى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نغصت بالفجع صاحبها
بطارق الفجع والتنغيص قد طرقوا
دار لعهد بها الآجال مهلكة
وذو التجارب فيها خائف فرقُ[1]
يا للرجال لمخدوع بباطلها
بعد البيان ومغرور بها يثقُ
أقول والنفس تدعونى لزخرفها
أين الملوك ملوك الناس والسوقُ
أين الذين إلى لذاتها جنحوا
قد كان قبلهم عيش ومرتفقُ
أمست مساكنهم قفرا معطلة
كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
يا أهل لذة دار لا بقاء لها
إن اغترار بظل زائل حمقُ

(١) فرق: خاف.

١١- الدنيا أيام قليلة

عـباد الله إن أيامكـم قلائل ومـواعظكم قـواتل، فليـخبـر الأوائل الأواخر، وليـستيقظ الغـافل قبل سيـر القوافل، يا من يوقن أنه لا شـك راحـل، ومـا له زاد ولا رواحـل، يا من لج - دخل - فى أمواج الهوى متى ترتقى إلى الساحل، هل انتهيت من رقاد شامل، وحـضرت المواعظ بقلب غيـر غافل، وقمت فى الليل قيام عاقل، وكتبت بالدموع سطور الرسائل، تخفى بها زفرات الندم والوسـائل، وبعثتهـا فى سفينة دمع سـائل، لعلها ترسى على الساحل، وا أسـفا لمغرور جهـول غافل، لقد أثقل بعذ الكهولة بالذنب الكاهل، وقـد ضيع البطالة وبذل الجاهل، وركن إلى ركـوب الهـوى ركـبة مـائل، يبنى البـنيان ويشـيـد المـعاقل، وهو عن ذكـر قبـره متـشاغل، ويدعى بعـد هذا أنه عاقل، تالله لقـد سبقـه الأبطال إلى أعلى المنازل، وهو يؤمل فى بطالته فوز العامل، وهيهات ما فاز باطل بطائل.

ابن آدم متى تذكـر عواقب الأمور؟ مـتى ترحل الرجال عن هذه القصـور؟ إلى متى أنت فى جمـيع ما تبنى تدور؟ أين من

كان قبلكم فى المنازل والـدور؟ أين من ظن بسوء تدبيره أنه لا يحور - يبعث -؟ رحل والله الكل فاجتمعوا فى القبور، واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور، فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور، كشفوا الحجاب المخفى وهتك المستور وظهـرت عجائب الأفـعال، وحُـصِّل ما فى الصـدور، ونصب الصراط فكم مـن قدم عثـور، ووضعت عليه كـلاليب لخطف كل مغرور، وأصـبحت وجوه المتقين تشـرق كالبدور، وباءوا بتجارة لن تبور، ودعاء أهل الفـجور بالويل والثبور - الهلاك - وجيء بالنار تقاد بالأزمة وهى تفور.

﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ وليس فى الدنيا لمن آمن بالبعث سرور، إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور.

قال الشاعر:

أيهـا المـعـجـب فـخـرا
يمـقـاصـيـر البـيـوتِ
إنمـا الـدنيـا مـحل
لـقـيـام وقنـوتِ
فـغـدا تنـزل بيـتـا
ضـيقـا بعـد النحـوتِ

بين أقــــوام سكوت

ناطقـــا فى الصـــموت

فـــارض فى الدنيـــا بثــوب

ومن الـعـــيش بقـــوت

واتخـــذ بيتـــا ضـعــيفـــا

مـــثل بيت العنكبـــوت

ثـــم قل يـــا نـفـس هـــذا

بيت مـــثـواك فـمـــوتى

وقال أيضًا:

إنمـــا الدنيـــا مـــتـــاع

كل مـــا فـيـــهـــا غـــرورُ

فـــتـــذكـــر هـول يوم

فيه السماء تمورُ

١٢- الدنيا دول

عبـاد الله ما أشرف الأوقـات وقد ضيعـتموها، ومـا أجهل النفـوس وقـد أطعـتـمـوها، ومـا أحق السؤال عن الأمـوال فانظروا كيف جمعتموها، وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا

ما أودعتموها، قبل الرحيل عن القليل، والمناقشة عن النقير والفتيل، قبل أن تنزلوا بطون اللحود، وتصيروا طعاما للدود في بيت بابه مسدود، ولو قيل فيه للعاصى ما تختار لقال: أعود، ولا يعود.

يا مبادرا بالخطايا ما أجهلك، إلى متى تغتر بالذى أمهلك، (الله سبحانه وتعالى)؟ كأنه قد أهملك، فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك، وإذا بالرحيل وقد أفزعك الملك، (ملك الموت) وأسرك البلا بعد الهوى وعقلك، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك، يا مطمئنا بالفانى، (الدنيا) ما أكثر ذلك، ويا معرضا عن النصح كأن النصح ما قيل لك، أين حبيبك الذى كان وأين انتقل؟ أما وعظك التلف فى جسده والمقل، وأين كثير المال طويل الأمل؟ أما خلا وحده فى لحده بالعمل؟ أين من جر ثوبه بالخيلاء غافلا ورفل؟ أما سافر به وإلى الآن ما وصل؟ أين من تنعم فى قصره فكأنه فى الدنيا ما كان وفى قبره لم يزل؟ أين من تفوق واحتفل؟ غاب والله نجم صعوده وأفل، أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول؟ ملك أموالهم سواهم والدنيا دول.

قال الشاعر:

أين الديار من قوم نوح
ثم عاد من بعدهم وثمود
بينما القوم في النمارق والاستبرق
أفضت إلى التراب الخدود
وصحيح أضحى يعود مريضا
وهو أدنى للموت ممن يعود

١٣- اقتربت المنايا (الموت)

عباد الله أين الذين كنزوا الكنوز، وجمعوا وثملوا - سكروا - من الشهوات وشبعوا، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا، وفنيت أعمارهم بما غروا به وخدعوا، ونصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا، وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا، فهم مفترقون في القبور، فإذا نفخ في الصور اجتمعوا.

عباد الله، إن المنايا قد دنت واقتربت، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت، كأنكم بأكف الردى (الموت) قد أخذت وسلبت، رب شمس طالعة على القبر قد غربت، بأفراح الفنا،

فخاخ البلا قد نصبت، عباد الله، كل المعاصى قد سطرت وكتبت، والنفس رهينة بما جنت واكتسبت، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، يا من يغتر بالأمانى والآمال الكواذب، ومبارز بالقبايح وما يدرى من يحارب، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب، أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب، يا من عمره يفنى فى ممره ويسرى كالنجائب، يا من شاب وما تاب، هذا من العجائب، يا عجبا كيف نام المطلوب وما غفل الطالب؟.

يقول الشاعر:

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم
أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهرا علانية
لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لا بد موردهم
وليس يدرون من ينجو ومن يقعُ
قد أمست الطير والأنعام آمنة
والنون فى البحر لا يخشى لها فزعُ
والآدمى بهذا الكسب مرتهن
له رقيب على الأسرار يطلعُ

حتى يرى فيه يوم الجمع منفردا
وجسمه الجلو والأبصار والسمعُ
ولا يقومون والأشهاد قائمة
والجن والإنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف فى الأيدى منشرة
فيها السرائر والأخبار تطلعُ
فكيف بالناس والأنباء واقفة
عما قليل وما تدرى بما تقعُ
أفى جنان وفوز لا انقطاع له
أم فى الجحيم فلا تبقى ولا تدعُ
تهوى بسكانها طورا وترفعهم
إذا رجوا مخرجا من غمها قمعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم
هيهات لا رقيقة تغنى ولا جزعُ

١٤- أسير الهوى

يا من أسره الهوى فما يستطيع له فكاكا، يا غافلا عن التلفت وقد أدركه إدراكا، يا مغرورا بسلامته وقد نصب له

الموت شراكا، تفكر فى ارتحالك وأنت على حالك، فإن لم تبك فتباكى، يا قليل الزاد والطريق بعيد، يا مقبلا على ما يضر تاركا لما يفيد، أتراك يخفى عليك الأمر الرشيد، إلى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد.

يقول الشاعر:

حميمك فاعلم أنها ستعود
كفاك نذير الشيب فبك كفاكا
ألم تر أن الشيب قد قام ناعما
مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم تر يوما مر إلا كأنه
بإهلاكه للهالكين عناكا
ألا أيها الفانى وقد حان حينه
أتطمع أن تبقى فلست هناكا
ستمضى ويبقى ما تراه كما ترى
فينساك ما خلفته وهو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم
وتنسى ويهوى الحى بعد هواكا

كـأن الـذى يخـشـو عليك من الـثرى

يريد بـمـا يحـشـو عليك رضـاكـا

كـأن خطـوب الدهر لم تجـر سـاعـة

علـيك إذا الـخطـب الجلـيل أتـاكـا

ترى الأرض كم فـيـهـا رهون دفـينة

غلـقن فـلم يـقـبـل لهـن فكاكـا

ويقول الشاعر:

مـضى أمـسك شـهـيدا مـعـدلا

وأعـقـبـه يـوم عليك شـهـيـد

فإن كنت بالأمس اقـتـرفت إسـاءة

فـبـادر بإحـسـان وأنـت حـمـيـد

ولا تبق فـضل الصـالحـات إلى غـد

فـرب غـد يـأتى وأنت فـقـيـد

إذا مـا المنـايا أخطـأتك وصـادفت

حـمـيـمك فـاعلـم أنهـا سـتـعـود

١٥- كل من عليها فان

عباد الله . . . تفكروا فى سلفكم قبل تلفكم، وانظروا فى أموركم قبل حلول قبوركم، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلهم، أين الأقران والإخوان؟ أين من شيد الإيوان، (قصر كسرى)؟ رحلوا والله عن الأوطان، ومزقت فى اللحود تلك الأكفان ، هتف نذير بأهل العرفان: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الرحمن) تقلبت بهم الأحوال، ولعب بهم فى أيدى الليالى، وشغلوا عن الأولاد والأموال، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال، عانقوا التراب وفارقوا الأموال، فلو أذن لأحدهم فى المقال لقال:

من رآنا ليحدث نفسه
أنه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها
ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا
يشربون الخمر بالماء الزلال

والأباريق عليهم قدمت
وعتاق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهرا بعيش ناعم
أبيض دهرهم غير محال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم
وكذلك الدهر يودى بالرجال

١٦- يا طلاب الجنة أقبلوا

إن جناب الجنة رفيع، وملكها كبير، ولكن جناب الله أرفع وأكبر، وسلمنا أن بهجة الفردوس بهية باهرة، ولكن بهجة حضرة الله أبهى وأبهر.

ما سمت همم العارفين عن طلب الجنة، جهلا بما فيها من نعيم النفوس والقلوب، ولكن رأوا أن نعيم الحضرة أحب إليهم من كل محبوب.

يا طالب الخير احذر أن يشغلك قلبك عن كبيرة، يا خائف الشر لا يلهك صغيرة عن كبيرة، اسم - ارتفع - بهمتك إلى المعالى، ونافس فى كل نفيس غالى، ولكن احذر أن تقول أنا لا أرغب فى جنة النعيم، ولا أرهب من عذاب الجحيم، وأنت

ممن إذا أقبلت عليه الدنيا ظل فرحا مسرورا، وإذا أدبرت عنه أسف ودعا هنا ثبورا ـ هلاكا.

أنت تنظر إلى رونق زهر الربيع وبهجته، وتصغى إلى ترجيع صوت العندليب ونغمته، فيلهيك ذلك عن ذكر مولاك، وتستحوذ به عليك دنياك، حتى تنسى أخراك، فكيف بك لو تبرجت لك حورية مما وصف الله فى كتابه؟ أو سعى عليك بعض الولدان المخلدين بأباريقه وأكوابه؟ إذًا لطار قلبك، وطاش عقلك، إنما الشغل بالله عما سواه مرتبة العارفين، فأما من لم يبلغ شأنهم فالأولى به مقام الخائفين.

نستغفر الله ما أعز جناب الله، ما أطهر حضرة الله.

نستغفر الله نحن قوم ضعفاء خلق الله، إنما تحل أنفسنا بحيث أحلها الله، عسى الله الذى أخرج الورق من الشجر اليابس، أن ينقلنا عن الأحوال المبغوضة إلى أحوال رضية، ويبدلنا بهم الدنيا الدنية هما علية، فطالما أغاث المجدبين عندما قحطوا، وأنزل الغيث من بعد ما قنطوا.

يا معشر الشباب: هذا زمان ربيعكم، فأين زهر علومكم؟

يا معشر الكهول: هذا أوان خريفكم فأين ثمر أعمالكم؟.

يا من قد عاش فى الإسلام برهة من الزمان، فى سماع

الحـــديث النبـــوى والقـــرآن: أين آثار ذلك فى أعـــمـــالكم وأحوالكم؟.

هذه أرض حـرث آخـرتك هامـدة، مـا اهتـزت بالأعـمـال الصالحة ولا ربت، هذه سـيوف عزمك كلما ضـربت فى جهاد النفس والشيطان نبت.

إذا كان البلد طيبا خـرج نباته بإذن ربه، وإذا جنت لا تخرج إلا نكدا، يا مكروبا لم ينفس من كربه، يا مصـرا على ذنبه قد حال الشيطان بين التوبـة وبين قلبه، اصرخ إلى الله صراخ من قـد يبس عـوده، وهـزمت جنوده، وقل بلسـان الذكـر فى الانكسـار: يا وهـاب النعـم الغـزار، يا فـالق الحب والنوى، يا منشئ الأجساد بعد البلى، يا مؤوى المنقطعين إليه، يا كافي المتـوكلين عليـه، انقطع الرجاء إلا منك، وخـابت الظنون إلا فيك، وضعف الاعتماد إلا عليك، ووهن الاستناد إلا إليك.

نسألك بالرحـمة التى كـتبتـها على نفسك، وبـالكرامة التى أخـفـيـتـها لأوليـائك، أن تـمطر مـحل قلوبنا سـحـائب برك وإحسانك، وأن توفقنا فى كل حال لموجبات رحمتك، وعزائم غفرانك، إنك جواد كريم، غفور رحيم.

١٧- الداء والدواء

قد ثبت فى الحكمة أن شفاء الأمراض قـصد أسبابها، فمن استشفى لمرضه بغير ذلك فقد أتى البيوت من غير أبوابها.

فمن كـان داؤه المعصـية فـشفاؤه الطاعـة، ومن كان داؤه الغفلة فشفـاؤه اليقظة، ومن كان داؤه كثرة الاشتغـال فشفاؤه فى تفريغ البال.

من تفرغ من هموم الدنـيا قلبه قل تعبه، وتوفـر من العبادة نصيـبه، واتصل إلى الله مـسيـره، وارتفع فى الجنة مصـيره، وتمكن من الذكر، والفكر، والورع، والزهد، والاحتراس من غوائل النفس ووسـاوس الشيطان، ومن كثر من الدنيـا شغله، اسود قلبـه، وأظلم طريقه، وكـثر همه، وتـعب بدنه، وصار مهون الوقت، طائش العـقل، معقود اللسان عن الذكر، مـقيد الجوارح عن الطاعـة، من قلبه فى كل واد شعبـة، ومن عمره لكل شغل حصة.

فاستـعذ بالله من فضول الأعـمال والهموم، فكل مـا شغل العبد عن الرب فهو مشئـوم، ومن فاته القرب من مولاه، فهو لو جازت يداه نعيم الخلد محروم.

كل العـاقـية فى الذكـر والطاعـة، وكل البـلاء فى الغـفلة والمـخالفـة، وكل الشفـاء فى الإنابة والتوبة، متى أردت أن تعلم: أى الدارين أولى بك؟ فانظـر أى الحالين أغلب عليك، فإذا أصحاب الطاعة الجنة أولى بهم، وأصـحاب المعصية النار أولى بهم.

ولا تخادع نفـسك فى صحة النظر، فـجهل الإنسان بنفـسه أضر الضرر وأعظم الخطر، وانظر بعين التـفكر والاعتبار لو أن طبيبا غير مسلم عـفاك عن شرب الماء البارد، لأجل مرض من أمراض الجـسد لأطعـته فى ترك ما نهـاك عنه، وأنت تعلم أن الطبـيب قـد يصـدق وقد يـكذب، ويصيـب ويخطئ، وينصح ويغش، فما بالك لا تترك ما نهاك عنه أنصح الناصحين وأصدق القائلين؟ لأجل مـرض القلب الذى إذا لم تشف منه فأنت من أهلك الهالكين.

لا تقدر على التخلص من بلوى المعـصية إلا بالتخلص من سـجن الغفلة، ولا تتـخلص من الغـفلة إلا بتضـميـر البطن، وتفريغ القلب، ومواصلة الذكر.

فجـوع بطنك بالصـيام، وارفض شغـلك ـ انشغـال البال ـ واذكر ربك، يعتزلك شيطانك.

إن الشيطان حـامل على العصيان، والعصـيان جنون، ومن لم يحـضره الشـيطان فليس بمجنون، طوبى لـمن كان كـلامه مناجـاة الله، وعـمله مـعـاملة مـع الله، وفكره فى تدبر الله، والاعتبـار بصنع الله، ونيته خالصة لـوجه الله، يزاحم العلماء بركبتيـه، ويقبض على العلم بكلتا يديه، عبادته مـؤسسة على القواعد، وعلى تصحيح العقائد.

ألا رب من قـد أنحل الزهد جـسـمـه
كـثيـر صـلاة دائم الصـوم عـابد
يروم وصـالا وهـو بالطـرق جـاهل
إذا جهـل المقـصود قـد خاب قـاصد
قلـيل من الأعـمـال بالـعلم نـافع
كـثيـر من الأعـمـال بالجـهل فـاسـد

١٨- ذم الدنيا

ليس الذاكر من قـال سبحـان الله والحمد لله، وقلبه مـصر على الذنوب، وإنما الذاكر من إذا همّ بمعصـية ذكر مقامه بين يدى علام الغـيوب، كـما قال بعض السلف: لـيس الذاكر من همهم بلسانه، وإنما الذاكر من إذا جلس فى سوقه، وأخذ يزن

بميـزانه، علم أن الله مطلع عليه، فلم يأخذ إلا حـقا ولم يعط إلا حقـا، فمـا ينبغى للعباد أن ينشـغلوا عن المنعم بشىء من نعمه، ولا يلتهوا عنه بشىء من كرمه، الله أحق أن نختاره على ما سـواه، الله مولانا، ومـا أولى بالخـير من كـان الله مولاه، ياليتنا عقلنا عن الله ولو حرفـا من خطابه، يا ليتنا قربنا من الله ولو عرض شـعرة من عـزيز جنابه، إنمـا يفهم ما نـقول أرباب الفطن والعـقول، إنمـا يشـرب من هذا الشمـول من هو برداء التوفيق مشمول.

إسمع ما نقول فهو جميل، لا يضر عنه ما يقول الجهول: كل شىء شـغول فـهـو للنفـس عـول، عن ذكـر لمـولى ملكه ما يزول.

قال رسول الله ﷺ : «ملعونة هى الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وعالما ومتعلما» (الترمذى)

كيف لا تكون الدنيا ملعونة وهى عن ذكر الله شاغلة؟ ولمن نظر إليها فاتنة، ولمن ركن إليها قاتلة، ولمن استصحبها غاشة، ولمن استنصرها خاذلة.

الدنيا حَـب، والمعصـية فخ، والشـيطان صيـاد، والإنسان طائر، فمتى أكب الإنسـان على التقاط حلالهـا فيوشك أن يقع

فى حرامها، ومتى وقع فى حرامها فقد استحوذ عليه قناصه، وتعذر عليه إلا من جهة التوبة خلاصه، فكيف السبيل إلى الخلاص منها، ورضيعها لا يمكنه الفطام عنها؟ والجواب عن هذا السؤال: أن تستغيث بالكبير المتعال، فالراجع إلى الله مستريح بالله مما سواه، لأنه يستريح من الدنيا وأشغالها، ومن الشياطين ووسواسها، ومن الأفكار وغمومها، ومن الأشغال وهمومها، وغير ذلك مما الناس به فى هذه الدنيا مفتونون ومعذبون، وعليه فى الآخرة محاسبون ومعاقبون، فأريدوا وجه الله بكل أعمالكم، وجاهدوا فى سبيل الله بأنفسكم وأموالكم، وأقبلوا عليه يقبل عليكم، فإنه لا يعرض إلا عمن أعرض عنه، ولا تجعلوا طلب الدنيا أكبر همكم فيطول فيها همكم، وفى الآخرة يطول حسابكم على قدر ما لكم، قال أبو الدرداء ﷺ: ذو الدرهمين فى الآخرة أشد حسابا من ذى الدرهم.

وفى الحديث: «التقى مؤمنان على باب الجنة: مؤمن غنى، ومؤمن فقير، كانا فى الدنيا، فأدخل الفقير إلى الجنة، وحبس الغنى ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة، فلقيه الفقير فقال: يا أخى ما أحبسك بعدى؟ والله لقد احتبست حتى

خفت عليك، فقال: يا أخى والله لقد احتبست بعدك حبسا فظيعا كريها، وما وصلت إليك حتى سال منى العرق ما لو ورد ألف بعير كلها أكلت حمضا لصدرت عنه رواء».

(ابن حنبل)

واعلموا أن لله عبادًا شغلهم الاهتمام به عن الاهتمام لهم، مرتبة المقربين الذين يتبتلون إليه تبتيلا، ومنهم من لا يرفع قصة الشكوى إلا إليه، وذلك مقام أصحاب اليمين الذين لم يتخذوا من دونه وكيلا.

اجتهد أن تكون عارفا بالله، فإن عجزت فاجتهد أن تكون مريدا من الله، ولا تكن الثالث فتكن من الخائبين.

اجتهد أن تكون واصلا إلى الله، فإن عجزت فكن سالكا إلى الله، ولا تكن الثالث فتكن من المنقطعين.

اجتهد أن تكون عارفا بالله، فإن عجزت فكن عالما بأمر الله، ولا تكن الثالث فتكن من الجاهلين.

اجتهد أن تكون ممن يحبه الصالحون فى الله، فإن عجزت فكن ممن يحب الصالحين فى الله، ولا تكن الثالث فتكن من الممقوتين.

هذه وصية مناصحة، من اهتدى بهديها اهتدى، هذه سفينة

سلامـة، من اعتـصم بركوبها نجـا، المؤمنون قـوم باعوا الله أنفســهم وأموالهم، ولم يقـدموا عليه بسـوى افتقـارهم إليه، فعوضوا بما هو أعوض عليـهم وأبقى لهم، عاملوه رغبة فيه لا فى شىء سواء، فجازاهم بجنته ورضاه.

والله لو أن محـبا صادقـا يسأل بذل روحه ومـاله حتى ينال نظرة فى نومه يسخو بها الحبيب من خياله، وجدته لنفسه مهينا لنعم باله، والرب تعالى يسـتقرض منا ربع عشـر ـ زكاة المال ـ ما خولنا من مـقتنى أمواله، فلا نجـود، ثم نرجو حظوة لديه بالنعيم فى وصاله، هذا هو المحال، والمحال لا مطمع للعاقل فى مناله، إنمـا أمركم الله سبـحانه بإنفـاق أموالكم فى سـبيل مرضاته، ليمتحن ما له فى قلوبكم من محبته وإجلاله وخشيته ومقامه ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨) ﴾ (محمد).

وفقنا الله وإياكم لمـرضاته ووهبنا وإياكم من جـزيل هباته، وجـمـعنا وإياكم فى دار النعـيـم، وجنبنا وإياكم أفـعـال أهل الجحيم، إنه جواد كريم، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل الصلاة والتسليم.

١٩- الطريق إلى الله

إن بين العبد وبين ربه مسافة، لا تقطع إلا بقطع العلائق، ورفض العوائق، وعلى مرآة القلب صدأ؛ لا يجلوه إلا نسيان الخلق فى جنب ذكر الخالق.

فمن أراد أن يصل إلى ربه فليتفرغ لمواصلة السُّرى، ومن آثر جلاء مرآة قلبه، فليتناسى ذكر الورى - الناس - كيف يصل إلى الله من لا يسير، وهو فى قبضة العوائق أسير، الأمر كله فى حرفين:

أحدهما: الإعراض عما سوى الله، والآخر: الإقبال عليه.

فمن لم ينقطع عما سواه، لم يمله الاتصال به، ولا الوصول إليه.

كم بين الفارغ والمشغول؟ كم بين الصحيح والمعلول؟.

ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد، وفى الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (البخارى)

نظير الصحة: قرينها، وكذلك الشغل نظير السقم وقرينه.

ففرغ إلى الله قلبك، فانعم بالله بالا، وواصل إلى الله مسيرك، تنل من الله وصالا.

٢٠- تنبية الغافلين إلى جنة رب العالمين

انتهز فرصة الزمـان، قبـل تعـذّر الإمكان، قبل أن تنقل من اسم ما زال إلى خبر كان، فـما كل حين ممكن الفوز بالمنى، ولا كل وقت يرفع الحجب للعبد.

هذه سوق المعاملة قائمة، فأين طلاب الأرباح.

هذه مقصورات الخيام بارزة، فأين خطاب الملاح.

لو أن حوراء طلعت إلى الدنيا لملأتها نورا وعطرا

فهل إلى مقارنة هذا القرين الصالح مرتاح.

كيف ينفـزع لخطبة الحور، من هو مـخلد إلى دار الغرور، إن هجـرته الدنيا فـهو مـحرور - غـضبان - وإن وصـلته فـهو مسرور، قد خدعته أباطيل المنى، وغره بالله الغرور.

أيهـــا الـرافل فى ثـوب الغـــرور
أيهـــا الغـــافل عن يـوم النشـــور
أين مـــا قـــدمت لـلقـــبـــر الذى
سـوف فـــيـه تثـوى مـا بين القـبـور
أين مـــا قـــدمت لـلحـــشـــر الذى
فـــيـــه تدعـــو بثـبـــور وحـــبـــور

أين مـــا قـــدمت للمـــولى الذى
هو عـــادل فى القضـــاء لا يجـــور
احذر الغفلة عنه فهو من
أقـــتل الداء ومـــن شـــر الشـــرور

دعـــاء

اللهم لا تجعلنـا عن ذكرك غافلين، ولا عن أمـرك زائغين، وأدخلنا فى عبادك الذين اصطفيـتهم لوراثة كتابك، وأنظمنا فى سلك من أهلـته لولائـك، واغـفر لنا بفضـلك مغـفرة عزما، لا نخاف بعدها ظلما ولا هضما.

اللهم يا من أفاض خلع الإيمان على المؤمنين، ويا من ملأ من عطائه أكف السائلين، ارزقنا إيمانا تخالط بشاشته القلوب، وهب لنا عطاء غير ممنون ولا محسوب.

اللهم يا جواد يا كريم، يا عزيز يا وهاب، اهد إلى حضرة الحبيـب محمد صلاتنا وسـلامنا أفضل ما هداه المـحبوب إلى حضرة الأحباب.

المراجـــــع

فتح البارى بشرح صحيح البخارى

تحقيق (طه عبد الرءوف سعد)

الكبائر ـ للإمام الذهبى

تحقيق (طه عبد الرءوف سعد، وسعد حسن محمد)

الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمى.

التذكرة فى الوعظ لابن الجوزى القرشى.

صيد الخاطر لابن الجوزى البغدادى.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة